@ 678 @ وتمزقوا ، بعدما كانوا مجتمعين ، وجعلهم ا أحاديث يتحدث بهم ، وأسمارا للناس ، وكان يضرب بهم المثل فيقال : (تفرقوا أيدي سبأ) فكل أحد يتحدث بما جرى لهم . ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا من قال ا فيهم : ! 2 2 ! صبار على المكاره والشدائد ، يتحملها لوجه ا ، ولا يتسخطها بل يصبر عليها . شكور لنعمة ا تعالى يقر بها ، ويعترف ، ويثني على من أولاها ، ويصرفها في طاعته . فهذا إذا سمع بقصتهم ، وما جرى منهم وعليهم ، عرف بذلك أن تلك العقوبة ، جزاء لكفرهم نعمة ا ، وأن من فعل مثلهم ، فعل به ، كما فعل بهم . وأن شكر ا تعالى ، حافظ للنعمة ، دافع للنقمة . وأن رسل ا ، صادقون فيما أخبروا به . وأن الجزاء حق ، كما رأى أنموذجه في دار الدنيا . ثم ذكر أن قوم سبأ من الذين صدق عليهم إبليس ظنه ، حيث قال لربه : ! 2 2 ! . وهذا ظن من إبليس ، لا يقين ؛ لأنه لا يعلم الغيب ، ولم يأته خبر من ا أنه سيغويهم أجمعين ، إلا من استثنى . فهؤلاء وأمثالهم ، ممن صدق عليه إبليس ظنه ، ودعاهم وأغواهم ! 2 2 ! ممن لم يكفر بنعمة ا ، فإنه لم يدخل تحت ظن إبليس . ويحتمل أن قصة سبأ ، انتهت عند قوله : ! 2 2 ! . ثم ابتدأ فقال : ! 2 2 ! أي : على جنس الناس ، فتكون الآية عامة ، في كل من اتبعه . ثم قال تعالى : ! 2 2 ! أي : لإبليس ! 2 2 ! أي : تسلط ، وقهر ، وقسر على ما يريده منهم ، ولكن حكمة ا تعالى ، اقتضت تسليطه ، وتسويله لبني آدم . ^ (لنعملم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) ^ أي : ليقوم سوق الامتحان ، ويعلم به الصادق من الكاذب ، ويعرف من كان إيمانه صحيحا ، يثبت عند الامتحان والاختبار ، وإلقاء الشبه الشيطانية ، ممن إيمانه غير ثابت ، يتزلزل بأدنى شبهة ، ويزول بأقل داع يدعوه إلى ضده . فا تعالى جعله امتحانا ، يمتحن به عباده ، ويظهر الخبيث من الطيب . ^ (وربك على كل شيء حفيظ) ^ يحفظ العباد ، ويحفظ عليهم أعمالهم ، ويحفظ تعالى جزاءها ، فيوفيهم إياها ، كاملة موفرة . ! 2 2 ! أي : ! 2 2 ! يا أيها الرسول ، للمشركين با غيره من المخلوقات ، التي لا تنفع ولا تضر ، ملزما لهم بعجزها ، ومبينا بطلان عبادتها : ! 2 2 ! أي : زعمتموهم شركاء ، إن كان دعاؤكم ينفع ، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز ، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه . فإنهم ليس لهم أدنى ملك ^ (لا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض) ^ على وجه الاستقلال ، ولا على وجه الاشتراك ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : لتلك الآلهة الذين زعمتم ! 2 2 ! أي : في السموات والأرض . ! 2 2 ! أي : لا شرك قليل ولا كثير ، فليس لهم ملك ، ولا شركة ملك . بقي أن يقال : ومع ذلك ، فقط يكونون أعوانا للمالك ،

ووزراء له ، فدعاؤهم يكون نافعا ، لأنهم بسبب حاجة الملك إليهم يقضون حوائج من تعلق بهم . فنفى تعالى هذه المرتبة فقال : ! 2 2 ! أي : تعالى الواحد القهار ! 2 2 ! أي : من هؤلاء المعبودين ! 2 2 ! أي : معاون ووزير ، يساعده على الملك والتدبير . فلم يبق إلا الشفاعة ، فنفاها بقوله : ! 2 2 ! . فهذه أنواع التعلقات ، التي يتعلق بها المشركون بأندادهم ، وأوثانهم ، من البشر ، والشجر ، وغيرهم ، فطعها ا وبين بطلانها ، تبيينا حاسما لمواد الشرك ، قاطعا لأصوله . لأن المشرك ، إنما يدعو ويعبد غير ا ، لما يرجو منه من النفع ، فهذا الرجاء ، هو الذي أوجب له الشرك . فإذا كان من يدعوه غير ا ، لا مالكا للنفع والضر ، ولا شريكا للمالك ، ولا عونا وظهيرا للمالك ، ولا يقدر أن يشفع بدون إذن المالك ، كان هذا الدعاء ، وهذه العبادة ، ضلالا في العقل ، باطلة في الشرع . بل ينعكس على المشرك مطلوبه ، ومقصوده ، فإنه يريد منها النفع ، فبين ا بطلانه ، وعدمه ، وبين في آيات أخر ، ضررها على عابديها ، وأنه يوم القيامة ، يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضا ، ومأواهم النار ! 2. ! 2